نصوص

حسناً، لقد أفرغت ما بجعبتي

بمجرّد أن تصير مشهوراً

انا تان تان الشهير، في السابعة والسبعين من عمري، ما زلت اتدبر اموري بشكل مقبول، انتقلت من عمارة ميلو. انه دائم التذمر بخصوص حقوق تاليفه. حقوق المؤلف ليست ديدني. رغم انّ ديدني هو الشاي بالنعناع. حقوقي اتركها لوكيل اعمالي

جلال الحكماوي

شخصية «تان تان» الكرتونية في عمل فني لـ غروفي، الوان بخاخة واكريليك

البوّاب مو

يردد مو دائماً sié sié. والعبارة تعني شكراً، باللغة الصينية، حسب غوغل. ينحدر مو من المنطقة المستقلة نينغشيا هوي. دفعه البوم تان تان في التبعيت إلى الهجرة السرية نحو بلجيكا. وسبّب له الألبوم العشرون لهيرجي مشكلة حقيقية. لنكن صرحاء: المشكلة سياسية. كان سؤال وحيد وبسيط يؤرق مو: لماذا يجرجر السيد هيرجي طفلاً في أماكن غير آمنة؟ إنه يقيم في بلجيكا منذ 5 سنوات، ولم يجد جواباً شافياً لهذا السؤال. في بيغ آبل إلكترونيك، لا نعرف إذا كانت هذه sié sié موجّهة إلينا، إلى الجبران، إلى تان تان، إلى هيرجي، أو إلى بلجيكا. مو ممّن يُعوّل عليهم. تريد أن تشتري علبة تبغ، مو رهن الإشارة. تريد ببتزا، مو يحضرها بسرعة البرق. تريد حبر الطابعة، مو يجسّدها في الحال. مو تعوّل عليه ليل نهار. موقف الفتاة ذات الشعر الأحمر تجاهه غير مفهوم. فتان تان صديقه. ميلو أمين أسراره. وبالمناسبة، فهو لا يفهم سرّ انحراف هذا الكلب اللطيف. ميلو يفرط كثيراً في الشرب. لديه شهية زائدة للكحول، ولا سيّما ويسكي لوش لوموند. إنه مدمن. لا ينقصه سوى الالتحاق باجتماعات المدمنين المجهولين. مو لا لا يتخيل أمين أسراره معترفاً: - مرحباً، اسمي ميلو، أنا كلب تان تان، وأنا مدمن. استعداء جميع الحيوانات على ميلو امر هيّن. والمقصود بالحيوانات: الأفعى، الجاموس، النسر الأميركي، السلطعون، الفوريلا، القنفذ، البقرة، الببغاء... إلخ، لكن سقيه الخمر فضيحة مجلجلة. يفكّر مو أيضاً في تشانغ الغريق. يطرح سؤالاً أخر بسيطاً وسخيفاً: لماذا هذا السيد هيرجي يذهب إلى التيبت، الكونغو، وأرض الذهب الأسود. في كل مكان توجد فيه المتاعب. إنه ليس تان تان هيرجي مجرّد حكواتي. البطلان الحقيقيان هما تان تان وميلو. يشرب مو الشاي الأخضر ويأكل البطاطس المقلية بصلصة الإيرلي طوال النهار، 6 فصوص ثوم، صفائري بيض، كوب زيت الزيتون، وملعقتين كبيرتين من عصير الليمون والملح والبزر الأسود. في الليل يقضم بسكويت سبيكولوس وشوكولاتة ليوتيداس، ويشرب أيضاً الشاي الأخضر. تحيّه الملائكة جداً، يجعلها تتلوى على الأرض من شدة الضحك عندما يتحدث عن تان تان وميلو والفتاة ذات الشعر الأحمر التي لا تكلّف نفسها عناء النظر إليه. السؤال الذي يعذبهما معاً: sié sié موجهة إلى مَن؟ ماو، تان تان، ميلو أو الفتاة ذات الشعر الأحمر التي يحبّها سراً. وفي رأيي المتواضع، حتى جيل دولوز وكلير بارني، في هذه اللحظات العصيبة، لن يستطيعا الجواب.

■■■

ميلو

لا، فلا، ثمّ لا، يكرّر ميلو. لنتخيل أنني توقفت عن الشرب. مجرّد افتراض، طبعاً. يعرفني ملايين القرّاء، لكن أحداً لم يهتم في يوم من الأيام بصحّتي العقلية. مو، نعم. يمكنني القول إنّ مو الشخص الوحيد الذي يحبّني فعلاً. هادوك لم يتساءل عمّا إذا كنت حقاً أحبّ الويسكي. مو يعرف أنني مستعد للموت من أجل قطرة واحدة من بيرة، الليف مثلاً. لنتحدث عن البيرة. كيف يفرض عليك مؤلف يعيش في بلد الألف بيرة وبيرة شرب الويسكي؟ هذه حماقة.

أنا كلب ناطق. لكن بالنسبة إلى خالقي، أنا أتكلّم فقط عندما أكون في أميركا، كما لو كنّا في بلجيكا، في جمهورية موز. بخلاف ذلك، مو صاحب رؤيا. فهو الوحيد الذي يعرف أنه قبل حياة المدمن التي أعيش برفقة تان تان، كان لديّ حياة أخرى. نعم، حياة طبيعية. إنها مختلفة عن الحياة العادية للرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند، لكنها حياة على أي حال، حياتي أنا. كنت أقيم في سكاربيك، بالقرب من ليهال. كانت حياتي هادئة داخل أسرة طنجاوية جعلتني أستمتع باطباق البسطيلة بفواكه البحر، الكسكس بسبعة خضار بعد صلاة الجمعة، حلوى كعب الغزال، والشاي الأخضر بالنعناع وزهر البرتقال. عندما كانت الزوجة والأولاد يسافرون إلى المغرب، كنّا نعبّ البيرة عبّاً. هذه الأيام، لا أحد يهتم بأصوله. كنت أيضاً جار ريفال قبل أن يقتحم مجال الهيب هوب. كان يقدّم لي كفتة سردين بصلصة طماطم، لا بأس بها، لا بأس بها. يقدّس الناس الفعل. مو يفهمني تماماً. أنا ومو وجهان لعملة واحدة. نتحدث غالباً عن المطر والصحو والبطاطس المقلية وأنواع الصلصة، «أفكار ليلة هادئة» للشاعر الصيني لي باي. عندما يقرأ مو «أشعة القمر تضيء أمام سريري/ ظلال شك على أرض الصقيع»/ أرفع رأسي متأملاً سطوع القمر/ وأميل رأسي متذكّراً مسقط رأسي»، تغرورق عيناي بالدموع لأنني كلب حساس. ما لا يعرفه القرّاء أنني إلى جانب الفرنسية والهولندية والعربية والألمانية والإنكليزية، أتحدث الصينية بفضل تشانغ تشونغ جين. أنا إنسان يحبّ الحياة. سيجلب لي مو سراً حلوى كعب الغزال والشاي بالنعناع وبيتزا الثلاثاق المغاربية عندما يكون لديّ أصدقاء. لا أدعو أبداً الكابتن هادوك إلى منزلي. هادوك ملك النحس، علاوة على ذلك، لا أتحمّل ضعف ثقافته العامة، وشتائمه السوقيّة «يا أولاد ...»، « يا عصابة...»، « يا محار الكعك»، «باتشي بزوق» و«لوغاريثم»... إلخ. هذا يشعرني بالغثيان. مو يدهشني. مثقف، عاشق سينما وإنسان نبيل. كل من الرئيس، كيم، أبولينارية، عبد القادر، الفتاة ذات الشعر الأحمر، ضعيف البصر، والجيران يجهلون من هو مو وما يمكنه فعله. للأسف، تنحصر ثقافتهم في عدد قليل من أفلام بروس لي. وهذا محزّن جداً.

■■■

هادوك

اقلعت عن شرب الكحول. أحجّ كل عام إلى مدينة لورد الكاثوليكية ماشياً على ركبتيّ. عندما أفكر في تان تان والبروفيسور تورنوسول، أشكر الله أنني نجوت بحياتي. كنّا مجانين في تلك الأيام. حكايات الروس والعرب والمصريين والأميركيين كانت تثير غثياني. ميلو مزعج. يتكلم دائماً عنّي بالسوء. أنا متأكد من ذلك. ابتسامته الصفراء لن تخدعني. لكن أنا هادوك يا مَن لا يعرفه. صحيح أنني مزاجيّ، سريع الغضب، وفضوليّ. لكن هذا ليس سبباً يستدعي اغتيابي وأكل لحمي. ميلو ناكر للجميل. نسي أصدقاءه هؤلاء الذين كانوا يساعدونه ويدفعون ثمن ماكولاته ومشروباته. ومع ذلك لا يقسم إلا باسم البواب مو. لن أطأ ثانية هذا المبنى القذر. لست ناقداً أدبياً متحذلقاً. أنا بخار حقيقي بدون عاهرات أستردام أو بكين أو براڤيل أو نيويورك. النقد سهل، لكنّ الصدق أصعب. أكون جذّاباً في الزي الأزرق. يجنّ الرفاق في مركز مدمني الكحول المجهولين تماماً عند رؤيتي، ظنّاً منهم أنها مداهمة للشرطة. في الحقيقة، لم يكن أغلبهم بريئاً. حكيت لهم مغامراتي وحدي في شبه الجزيرة العربية، الأردن، كوريا الشمالية، البوسنة، فلسطين، الفيليبين. بلا تان تان، سئمت أن أكون تحت وصاية صبيّ يتلقى تعليمه طوال الوقت من شخص يرى الأبيض في كلّ مكان.

(ترجمة عن الفرنسية: ميشرافي عبد الودود)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

بطاقة

جلال الحكماوي (الصورة)، شاعر من مواليد الدار البيضاء يكتب بالعربية والفرنسية. من اعماله الشعرية: «شهادة عزوبة» (1997)، «اذهبوا قليلا إلى السينما» (توبقال، 2006)، «ما لم اقله لآل باتشينو»، (مالستروم، بلجيكا، 2013)، «Perfect Day» (بيت الشعر البلجيكي، 2017 ومنه القصائد المترجمة هنا). من ترجماته الى العربية: «ارض مُطلّقة»، لـ لوران غاسبار، و«قبلا من الشمال: رامبو وفان غوغ» لـ فرانسواز لالاند، وغيرها.

إطلالة

إذا كان التاريخ سيكرّر نفسه

«استعادة» الإمبراطوريات

إذا كان التاريخ سيكرّر نفسه، فالاتجاه اليوم الذي يندفع اليه قادة الدول لاعادة ترتيب العالم، لا يخفي نوازعهم في استعادة الإمبراطوريات

فوّاز حداد

في منتصف القرن التاسع عشر، كان قد جرى ارتياد أغلب مناطق العالم المجهولة، وامتدت خطوط السكة الحديدية من الموانئ البحرية إلى المناطق الموغلة في البعد من كل قارة، لم يصلها من قبل إلاّ الرحالة الأكثر جرأة. وغدت الكرة الأرضية موحّدة بصورة لم تحدث من قبل بهذا الاتساع. كانت إمبراطوريات أوروبا متماسكة من خلال التعاون المتبادل بينها، وتزايدت التجارة الدولية، ونسجت اقتصاداً عالمياً، وتحوّلت المدن إلى ورش صناعية تزوّدها المستعمرات بالمواد الأولية، توّجت هذه الوفرة والتلاحم بمعرض باريس الدولي عام 1900.

دلّ هذا التعاون على نشوء «عالم سعيد»، وأكبه انتشار مجموعة قوانين وأعراف مقبولة للنظام الاجتماعي الدولي، جعلت من العنف آلية نادرة لحل النزاعات، ونعم المواطنون بالأمن في بيوتهم، وتنقل المسافرون من رجال أعمال وسياح بحرية وأمان وسلام، لا يحتاجون إلى جوازات سفر، أو تأشيرات دخول، أو أوراق اعتماد سوى إثبات هويتهم كبشر.

أثبت القرن، قبل أن يرحل، أنه كان الأكثر نشاطاً وثراءً وتقدّماً من كل العصور، وكان سخياً بإنجازاته على القرن التالي، حتى إنه بشّر بالسعادة، فالوفرة التي حققتها الآلة ستقضي على الفقر، وتعِدُ الناس بسعة العيش في المأكل والملبس والمأوى، أكثر مما قد يستهلكونه، ووسائل ترفيه وأوقات فراغ، والتمتع بصحة تمنع الأمراض، إضافة إلى التلقيح من الأوبئة، وسيحرّر التعليم الجماهير من الجهل، ولا يكفّ التقدم عن التقدم إلى الأمام دائماً؛ إنه التطور الإنساني الجبار الذي لن يقف عند حد، إلا بعدما تصل البشرية إلى حالة شبه ملائكية، تبرهن على أن البقاء للأصلح، وهو الأقوى، وطبعاً الأفضل أخلاقياً.

كان الأفضل أخلاقياً وأعداً بتعالي أوروبا عن الحروب، بعدما انحسرت النزاعات والضغائن الدموية، فلم تعد النزاعات المسلحة الخطيرة واردة بين حكومات عاقلة ومتحضرة، وشعوب أصبحت أكثر ذكاءً وعقلانية، تترفع عن التورط في نزاعات عسكرية على مستعمرات جرى تقاسمها. ما يجب وضعه في الاعتبار من الآن فصاعداً، اقتصارها على شعوب «متخلفة عن ركب الحضارة». وللعلم، لم يكن السعي للهيمنة عليها إلا لنشر الحضارة، إذ للحضارة منافع، هذه إحداها: السلام لنا، والحرب لهم!

اعتاد الناس التقدّمَ السريع، لدرجة اعتقدوا أنه لن يتعثر، ومن المستبعد أن يقف أو يتلكأ، بدا تقدّماً بلا نهاية. وإذا كان الحاضر أفضل من الماضي، فالمؤكد أن المستقبل أفضل من الحاضر. لن تتراجع الحضارة ولن تسقط، وإذا كانت الحضارة الرومانية قد اسقطها البرابرة، فمن أين سيأتي البرابرة لتهديد أوروبا القوية؟ لن يأتوا من المستعمرات، بعدما أصبحوا عبيداً أو صنو العبيد.

كانت الحضارة آخذة في الاقتراب من الكمال.

هذا التفاؤل لن يطول، سيتحطّم عام 1914 مع اندلاع الحرب التي ستصبح عامة بعد انخراط دولة بعد أخرى في الصراع، وسيتدافع الناس إلى الشوارع للتهليل لها، ونادراً ما تخلف عنها الرجال والشبان، وباركها الرهبان.

> للحضارة منافع، هذه إحداها: السلام لنا، والحرب لهم

اعتبرت الحرب استعراضاً مشرفاً للشهامة والبطولة، ولن تزيد على نزهة لن تطول أكثر من أسابيع أو شهور.

كانت توقعاتهم خاطئة، لم يجد الجنود البواسل مجالاً للفخار والمجد، بين الطين والوحل وأشلاء الجثث، في الخنادق بين الأسلاك الشائكة ونيران الرشاشات، وتبادل القصف المدفعي، والتساقط المجاني للقتلى. ستطول امدها سنوات تستجر جنوداً من ثلاثين دولة، يتقاتلون دونما هوادة، فالتساوي في الحجم والقوة أدى إلى حرب متكافئة، والأسوأ أنها شاملة، وكانت الأكثر كلفة في التاريخ، لم تحقق سوى مكاسب تافهة.

انتهت الحرب عام 1918، بعدما أزهقت أرواح عشرة ملايين جندي، وعشرة ملايين مدني بفعل الاحتلال والحصار والمجاعة والأمراض. ومحت من الخريطة أربع إمبراطوريات: الألمانية، والهنغارية النمساوية، والروسية، والعثمانية. وأسّست للحرب العالمية الثانية، التي ستندلع عام 1939، ومن جرائمها ستظهر النازية الألمانية والفاشية الإيطالية، وستشارك فيها الدول نفسها.

إذا كان التاريخ سيكرّر نفسه، فالاتجاه اليوم الذي يندفع إليه قادة الدول لإعادة ترتيب العالم، لا يخفي نوازعهم في استعادة الإمبراطوريات، بشاطرهم بها بعض الدول الإقليمية، فالأميركان لا يخفون تطلعهم إلى استمرار دورهم الإمبراطوري، بعدما تراجع، وكذلك الصين الصاعدة كالصاروخ، تسعى إلى إمبراطورية عظيمة طواها التاريخ. أما روسيا، فتثبت أقدامها في بلادها، وعينها على الجوار، على أمل إحياء العهد القيصري. ولا ننسى إيران وإمبراطورية فارس. أما أوروبا العاقلة، فقد كان للدرس الذي تلقته خلال حربين عالميتين مفعوله، جعلها تعمل على بناء أوروبا موحدة، كادت أن تصبح إمبراطورية.

درس التاريخ لم يضع هباءً.

(روائي من سورية)

جاكوب لورنس، 1954

كاتب من العالم

شيءٌ ذو مغزى تريد قوله

تشارلز سيلرز

تقف هذه الزاوية مع كاتب من العالم في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع قرّائه

كاليفورنيا ـ العربي الجديد

■ كيف تُقدّم المشهد الأدبي والثقافي في بلدك لقارئ لا يعرفه؟
مشهدٌ يهتمّ بالأفكار الجديدة والإمكانات والآفاق السياسية الجديدة.

■ كيف تقدّم عملك لقارئ جديد، وبأي كتاب لك تنصحه أن يبدأ؟
كتاب «نقد الراسمالية في أميركا»، وكتاب «ثورة السوق».

■ ما السؤال الذي يشغلك هذه الأيام؟
جائحة كوفيد 19.

■ ما أكثر ما تحبّه في الثقافة التي تنتمي إليها وما هو أكثر ما تتمنّى تغييره فيها؟
أحب أنّ ثقافتنا ديمقراطية، ولكنّ الرأسمالية تهيمن عليها للأسف. أتمنّى أن تكون أكثر ديمقراطية وأن تعتني بالناس من جميع الأعراق والأجناس.

■ إذا كنت ستبدأ من جديد، فما المسار الذي ستختاره في الحياة، وما هي الخيارات الأخرى التي ستختارها؟
أتمنّى لو كانت لديّ وظيفة تمنحني السلطة لضمان تحقيق التغييرات التي أرغب في تطبيقها.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟
المساواة للجميع.

■ شخصية من الماضي تودّ لقاءها، ولماذا هي بالذات؟
مارتن لوثر كينغ. لقد دعم لوثر كينغ تقديم جميع الامتيازات التي كان يتمتّع بها الرجال والذكور البيض سابقاً لجميع الأعراق والأجناس.

■ ما هو، في اعتقادك، أكبر خطر على حرية الكاتب والكتابة في العالم اليوم؟
أن تمتلك شيئاً ذا مغزى تريد قوله.

■ ما هي قضيتك وهل يمكن أن تكون الكتابة قضية بذاتها؟

> أحب أنّ ثقافتنا ديمقراطية، ولكنّ الرأسمالية تهيمن عليها

بطاقة

Charles Grier Sellers مؤرّخ أميركي ولد عام 1923. درّس من 1958 إلى 1990 في جامعة كاليفورنيا في بيركلي. وشغل منصب أستاذ هارمسورث للتاريخ الأميركي في كلية كوينز بأكسفورد في عام 1970. ألّف سيلرز السيرة ذاتية لجيمس بوك، الرئيس الحادي عشر للولايات المتحدة (1845-1849) ومن إصداراته: «ثورة السوق، أميركا الجاكسونيّة، 1815-1846».

تشارلز سيلرز

فعاليات

حتى شباط/ فبراير المقبل، يتواصل في فضاء «هنغار امم» ببيروت معرض فردي للمصوّر اللبناني **مروان طحطح** تحت عنوان **بين تشرين وتشرين**. يضمُّ المعرض، الذي افتُتح الجمعة الماضي، قرابة سبعين صورة تُوثّق ليوميات المتظاهرين في العاصمة اللبنانية على مدار أربعة أشهر، خلال انتفاضة 17 تشرين الأوّل/ أكتوبر 2019.

تتواصل على خشبة «المسرح العائم» بالقاهرة حتى الخامس من الشهر المقبل، عروضُ مسرحية «**افراح القبّة**» للمخرج **يوسف المنصور**. العملُ مقتبسٌ عن رواية لنجيب محفوظ تدور احداثُها خلال السبعينيات، حول ممثّلي فرقة مسرحية يقدّمون عرضاً بعنوان «افراح القبة». يُشارك في العرض: **عبد المنعم رياض**، و**محمد تامر**، و**فاطمة عادل** وآخرون.

تحتضن «جامعة قاصدي مرباح» في مدينة ورقلة جنوب الجزائر، في التاسع من الشهر المقبل، ندوةً بعنوان **المصطلح النقدي العربي: إشكالية الوضع والترجمة**. تُناقش أوراق المشاركين إشكاليات المصطلح النقدي العربي، وابرزها الغموض الذي يكتنف المصطلحات التي يجري تعريبها انطلاقاً من لُغات اجنبية.

ضمن مبادرة «تونس تقرا» التي تُنظّمها «جمعية التفكير الثقافي»، يُقام يوم الاحد المقبل ابتداءً من الواحد ظُهراً في فضاء «المندرة» بشارع الحرية في تونس العاصمة لقاءٌ مفتوح يناقش موضوع **علاقة الأمني بالمجتمع المدني وصراع الحريات**. يتضمّن اللقاء، ايضاً، وصلات موسيقية وقراءات شعرية ونثرية.